الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير
دراسة وصفية تحليلية

فوز إدريس يحيى
جامعة عمر المختار – كلية التربية قسم اللغة العربية – ليبيا

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية : الشاهد، الشعري، كتاب النحو وكتب التفسير.

الملخص

كتاب (النحو وكتب التفسير) للمؤلف الليبي: الدكتور إبراهيم عبدالله رفيده (ت:1419هـ)- رحمة الله عليه- من الرسائل الجامعية الكبيرة القدر والمقدار، وذلك بسبب بذل فيها من الجهد والوقت، وما ترتب عليها من نتائج، وللشاهد الشعري فيه مادة ثريّة تنتظر التنقيب وتصلح للدراسة، إذ يبلغ عدد الشواهد الواردة فيه ثمانية عشر ومئتي شاهد شعري، تكرر منها سبعة عشر شاهدًا، وعدد الوارد منها مرة واحدة واحدًا وثمانين ومائة شاهد، فضلًا عن تصنيفه لها من حيث سند الرواية وتعددها وإشاراته الضمنية إلى قيمة الشاهد الشعري وما له من مكانه بارزة في الاحتجاج والاستدلال وإيضاح المعاني.

وتصبو هذه الورقة العلمية أن تختص بهذا الجانب من الكتاب، ومن أجل ذلك حاولت اكتناه خطة الاستشهاد الشعري التي ارتضاها في كتاب النحو وكتب التفسير، والولوج إلى ما وراءها من أفكار وظلال.

ويشتمل وعاء هذه الورقة على مجموعة من المطالب والموضوعات المتتابعة والمتناسقة في قراءة الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير، تبدأ بالتعريف بالمؤلف، ثم بالكتاب، ثم بمفهوم الشاهد الشعري، وروافده، ومكانته عند الشيخ رفيده، إضافة إلى إلقاء الضوء على منهجية الاستشهاد الشعري وما ترتب على ذلك من تصنيف للشاهد الشعري، كل ذلك مصحوب بنماذج تطبيقية في حدود كتاب الدراسة (النحو وكتب التفسير)

وقد اعتمدت الدراسة لتحقيق ذلك على المنهج الوصفي الاستقرائي في جمع المادة وتصنيفها، ثم المنهج التحليلي في الدراسة والاستنتاج.

المقدمة:

بادئ ذي بَدء، تتناول هذه الورقة العلمية موضوع الشاهد في كتاب النحو وكتب التفسير دراسة وصفية تحليلية، للمؤلف الليبي الشيخ الدكتور إبراهيم عبدالله رفيده، رحمه الله.

ولا غرابة في أن ندرس هذا الموضوع الشائق في أنموذج يجمع بين النظر والتطبيق على نماذج اللغة العربية، تتجلى فيه صورة الإبداع والجد والابتكار.

وقد احتفت هذه الدراسة بمجموعة من المطالب الموضوعات التي تعطي صورة واضحة عن محتواها، تتمثل في:

المطلب الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم عبدالله رفيده، رحمه الله.
المطلب الثاني: التعريف بكتاب النحو وكتب التفسير (كتاب الدراسة).
المطلب الثالث : تعريف الشاهد الشعري.
المطلب الرابع : روافد الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير.
المطلب الخامس : مكانة الشاهد الشعري عند الشيخ رفيده.
المطلب السادس : منهجية الشيخ رفيده في إيراد الشاهد الشعري.
المطلب السابع : تصنيف الشاهد الشعري عند الشيخ رفيده.

قد انصب الاحتفاء بالشاهد الشعري على اعتماد المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي في جمع مادة الدراسة، وتصنيفها، ثم في دراستها واكتناه منهجيته؛ للوصول إلى نتائج علمية، تجسدت في خاتمة هذه الورقة العلمية التي ختمت بقائمة المصادر والمراجع مرتبه هجائيًا.

المطلب الأول : التعريف بالشيخ إبراهيم عبدالله رفيده

يفيد عرض سيرة المؤلف العلمية والعملية في مطلع البحوث والدراسات دائمًا في إضاءة الألوان التي رسمت حياة المؤلف، وفي التعرف على اللبنيات الثقافية الولى التي شكلت معالم تفكيره وأسلوب كتابه ومنهجية بحثه، وذلك من مهاد

الطريق إلى ما يأتي من المطالب العلمية التي تُبنى عليها الدراسة، ومن هنا المنطلق فإن حياة الشيخ الدكتور إبراهيم عبدالله رفيده [1] العلمية تبدأ بالبداية المألوفة لكثير من أعلام عصره من حفظه القرآن الكريم، وكانت تلك البداية من زاوية المنتصر بمدينة مصراته، ثم تمر بانتقاله إلى المعهد الأسمريّ بمدينة زليتن، وتلقيه العلوم على كبار المشايخ هناك، ثم أخيرًا بانتقاله مبعوثًا إلى دولة مصر لإكمال تعليمه الأكاديمي على الطريقة الجامعية الحديثة، حتى تحصّل على درجة الدكتوراه في علوم اللغة العربية باذلًا في سبيل ذلك أقصى ما يملك من وقت طويل وثمين، وجهد مشهود ومذكور، حتى قدّم للبحث العلمي النحوي مُنجزًا علميًا رصينًا ملء السمع والبصر، هو رسالته الكبيرة القدر والمقدار، التي هي محل هذه الدراسة: (النحو وكتب التفسير).

وأما في حياته العملية فقد كان الدكتور إبرهيم رفيده يمتاز بالجد والنشاط والمثابرة، وكان من أولئك الذين يحرص ملك المغرب الحسن الثاني- رحمه الله- على مشاركته في الدروس الحسنية التي تقام في ليالي شهر رمضان من كل عام بدولة المغرب، فضلًا عن أن الملك يوليه اهتمامًا خاصًا في الدروس التي يقدمها هناك، فذات مرة طلب منه إعادة الدرس الذي قدمه، وهذه لم تحدث في الدروس الحسنية، وعلى ما يبدو من خلال تصرف الشيخ رفيده- رحمه الله- الذي كان سيذكرها مفتخرًا بها وحق له ذلك، إضافة إلى ما يدل عليه ذلك من مكانة امتاز بها شيخنا– رحمه الله– من تفوق وعقلية متفتحة واسعة الأفق، تسامي مكانة فحول العلماء المتصدرين في ذلك المنتدى العالمي الإسلامي الكبير المعروف بمكانه ومكانته التي يفخر بها أساطين علماء المغرب ناهيك جمهور العلماء من كل بقاع العالم الإسلامي.

تقلد الشيخ الدكتور إبراهيم عبدالله رفيده- رحمه الله- وظائف عدة منها: عمادة كلية اللغة العربية بمدينة البيضاء الليبية، ومحاضرات علمية في أكثر من كلية، وشارك في لجان عديدة منها: لجنة إعادة التوقيت في ليبيا.

أشرف الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده- رحمه الله- على رسائل علمية عدة منها ما كان من أجل الحصول على درجة الدكتوراه، ومنها ما كان لنيل درجة الماجستير، وقد كانت آخر رسالة أشرف عليها- رحمة الله عليه- رسالة دكتوراه صاحبها هو الدكتور عبد الحميد عثمان زرموح، وكانت بعنوان: (البغدادي آثاره ونهجه في دراسة الشواهد النحوية)، وفي ظني وتقديري أن الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده – رحمه الله– كانت له يدٌ في اختيار هذا العنوان؛ لما للشاهد الشعري عنده من مكانة تحاول دراستنا الوليدة أن تكشف النقاب عنها، وأحسب أنني أحسنت الاختيار في دراسة هذا الموضوع، ولا أريد هنا أن أقرر الحاجة إلى دراستي، بل أردت لفت الأنظار إلى منزلة الشاهد وتوظيفه في كتاب النحو وكتب التفسير وهذا سيتضح من خلال المطالب الآتية :

توفي الدكتور رفيد رحمة الله تعالي عليه في أوائل عام (1419هـ) موافق سنة 1999ميلادي، ونعت خبر وفاته الصحف المحلية، وتفجع على فقده زملاؤه وتلاميذه ومحبوه، رحمة الله عليه رحمة واسعة.

المطلب الثاني : التعريف بكتاب النحو وكتب التفسير (كتاب الدراسة)

كان- وما يزال وسيظل- كتاب (النحو وكتب التفسير) أنموذجًا رائعًا عن تجربة الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده العلمية، وطريقته في التأليف والعرض والتحليل والمقارنة، فهو كتاب يقع في جزئين، وطبع مرات عدة، منها: الطبعة الأولى سنة 1982م، والطبعة الثانية سنة 1989م، والطبعة الثالثة سنة 1990م، صدرت عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ويبلغ عددُ صفحاتها اثنتين وثمانين وأربعمائة وألف صفحة. وهي الطبعة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة.

استوعب كتاب (النحو وكتب التفسير) مادة علمية غزيرة، تقسّمت هذه المادة على ثلاثة أبواب، كل باب يشتمل على مجموعة من المباحث التي بلغ عددها ستة عشر مبحثاً، طرق الباب الأول من الدراسة نشأة النحو ونموه في رحاب القرآن الكريم وجهود النحويين السابقين في خدمة الكتاب العزيز وتوثيق نصه، أما الباب الثاني فقد تحدث عن التفسير وطبقات المفسرين المهتمين بالنحو ومناهجهم النحوية، في حين أن الباب الثالث كان موضوعه هو استشهاد النحويين بالقرآن الكريم وقراءته وأخذهم من كتب التفسير.

مكث الشيخ رفيده في تأليفه خمس سنوات متواصلة كما ذكر في المقدمة[2]، وكان تناوله لموضوعات الكتاب "تناولًا موضوعيًا: عرضًا وتحليلًا وتوجيهًا ونقدًا[3].

ختم الشيخ رفيده هذه الدراسة العلمية التي لا تنضب فوائدها بخاتمة تعتبر عرضًا موجزًا مكثفًا لما تناوله من أصول لغوية وقضايا نحوية وتطبيقاته في إعراب القرآن الكريم وتوجيه قراءته، فضلًا عما تطرق إليه من مناهج المفسرين النحوية وتاريخ النحو في علاقته بكتب التفسير، وتحديد سمات تلك المناهج وما تثيره من قضايا، إضافة إلى توجيه القراءات القرآنية وبيان موقف النحويين والمفسرين منها، ومناهجهم في الحديث عنها، مع ما انتهت إليه دراسته من "نتائج وآراء مبتكرة[4]"، حسب تعبيره.

ثم ذيله بفهارس للآيات القرآنية، والشواهد الشعرية، والمصادر والمراجع والموضوعات.

---

[1] ينظر ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مصطفى عبدالرحيم محمد أبوعجيلة، 2/290-291.

[2] ينظر النحو كتب التفسير، 14/1 .

[3] المصدر السابق، 13/1.

[4] المصدر السابق، 1289/2.

كان غرضه من هذا التأليف الثري بيان الصلة الوثيقة بين النحو وكتب التفسير، منوهًا إلى "أن النحو هو وسيلة المفسر إلى فهم نص القرآني[1]"، راجيًا بهذا المؤلف العلمي "أن يسد فراغًا في المكتبة العربية، وأنها لفي حاجة إلى مثله من البحوث الجادة، ولأرجو أن يكون عملي خالصًا لمرضاة الله سبحانه والزلفى لديه ولخدمة كتابه العزيز والمشاركة المخلصة في البحث العلمي الهادف لخدمة تراثنا وتقومه وعرضه عرضًا منهجيًا منظمًا[2]"، فهنيئًا لروحه الطاهرة – تحت الثرى – هذا الإنجاز العلمي العظيم الذي يُعد مسيرة طويلة مع كتب النحو والتفسير كما نص عليها – رحمه الله– قائلًا "هي مسيرة استغرقت تاريخ التفسير كله في عصور الإسلام المختلفة، ودلت على ارتباط النحو بالقرآن الكريم، تاريخًا وموضوعًا"[3].

المطلب الثالث : تعريف الشاهد الشعري

يحتل الشاهد الشعريّ- في مجالاته المختلفة- مكانة بارزة في مؤلفات اللغة العربية، إن لم تكن هي المكانة الأبرز على الإطلاق في الثدونة العربية الإسلامية.

فمن الناحية جذور مفردة (الشاهد) في معاجم اللغة فإنها تعود إلى الفعل الماضي الثلاثي (شهد).

قال ابن فارس (ت:395هـ): "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ، لا يخرجُ شيء من فروعه عن الذي ذكرناهُ"[4].

وقال ابن منظور (ت:711هـ): الشهيد من أسماء الله، الأمين في شهادته، والشهيد الحاضر، والشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشاهد العالم الذي يبين ما علمه، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ {106}[5] والجمع : أشهاد وشهود وشهداء، وأشهَدتُهُمُ عليه، واستشهده : سأله الشهادة، والشهادة خبر قاطع، والشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، وشهد الشاهد عند الحاكم، أي: بين ما يعلمه وأظهره، وشهد فلان على فلان بحق، فهو شاهد وشهيد، والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهودًا؛ أي: حضره، فهو شاهد، وقوم شهود، أي: حضور، وهو في الأصل مصدر، وشهد له بكذا شهادة؛ أي: أدّى ما عنده من الشهادة فهو شاهد، وأشهدته على كذا فشهد عليه؛ أي صار شاهدًا عليه، ويقال : للشاهد شهيد، ويجمع شهداء، وأصل الشهادة : الإخبار بما شاهده، والشاهد والشهيد: الحاضر، والجمع شهداء، والشاهد : اللسان من قولهم : لفلان شاهد حسن، أي : عبارة جميلة، والشاهد الملك[6].

هذا عن معنى لفظة الشاهد في التراث اللغوي.

وأما في المعنى الاصطلاحي فهو: "عبارة عما كان حاضرًا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم، فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الوجد فهو شاهد الوجد، وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق"[7].

ويبدو التناسب والتقارب بين المعنيين في اللغة والاصطلاح واضحًا وجليًا، من حيث الدلالة على الحضور والعلم والدراية واللسان والملك والخبر واليقين والمعاينة.

هذا عن معنى الشاهد بصورة عامة في حال إطلاقه بلا قيود تقيّده، فمن المعلوم أن الشاهد قد يكون شاهدًا قرآنيًا أو شاهدًا من الحديث النبوي أو من الأمثال أو الخطب أو من النثر أو من الشعر، وهذا الأخير هو المقصود في هذه الدراسة.

فالشاهد الشعري هو: ما يُؤتى به من الكلام العربي الفصيح، يشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية[8].

ونشير هنا إلى الفرق بين الشاهد والمثال في ظل ترادفهما، فهذا التهانوي يفرق بينهما فيقول إن الشاهد هو : "الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهو أخص من المثال"[9].

وفي ضوء ما سبق، يمكن تعريف الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير بأنه: هو ما جاء به الشيخ إبراهيم رفيده من أبيات شعرية تبين الصلة الوطيدة بين النحو وتفسير القرآن الكريم وقراءاته، احتجاجًا، واستدلالًا، واستشهادًا، وتوجيهًا.

المطلب الرابع : روافد الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير .

تعد المادة الشعرية التي ضمنها الشيخ رفيده في كتابه فيضًا غزيرًا يستحق منا السبر والاكتناه، إذ بلغ عدد الشواهد الشعرية بصورة كلية ثمانية عشر ومائتين شاهدًا في كتاب النحو وكتب التفسير، تكرر منها سبعة عشر شاهد، وبلغ عدد

---

(1) المصدر السابق : 13/1

(2) المصدر السابق، 14/1.

(3) المصدر السابق، 1289/2.

(4) معجم مقاييس اللغة، لأبن فارس، (باب الشين وإلهاء وما يثلثهما).

(5) سورة البقرة : 106.

(6) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة: ش، ه، د)

(7) التعريفات، للجرجاني، ص140.

(8) ينظر : الاحتجاج بالشعر في اللغة، ص51.

(9) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (حرف، ش)

الوارد منها مرة واحدة واحد وثمانين ومائة شاهد، ويبدو لي أن هذا العدد الكبير من الشواهد الشعرية يعطينا لمحة سريعة عن عناية المؤلف بتوظيفها في حقولها المعرفية التي تنتهي إليها، وفي ظل هذه الطفرة الشعرية الوارفة التي ألقى الشيخ أبراهيم عبدالله رفيده بظلاله عليها يبقى السؤال قائمًا : ما مصادر شواهده التي جاءنا بها؟.

نجيب من خلال عملية الاستقراء لشواهد الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده كالتالي:

أ. يعتمد على الشواهد الشعرية الواردة في مصادره التي بنى عليها دراسته الواسعة واتخذها وسيلةً يبين بها الصلة الوثيقة بين صلة علم النحو والقرآن الكريم وتفسيره وقراءاته، خاصة بعدما صرح في مستهل تقديمه للكتاب قائلًا :" هذا الكتاب (النحو وكتب التفسير) بحث نحويٌّ قرآنيٌّ تفسيريٌّ"[1].

ب. استقى الشيخ رفيده شواهده الشعرية من مصادر بلغ عددها خمسة وعشرين كتابًا، ساقها في أثناء كتابه، نسردها على الترتيب التاريخي لوفيات المؤلفين هنا، وليس كما هي واردة فيه:

1. معاني القرآن للفراء (ت:207هـ)، 2. مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت:209هـ)، 3. تفسير الطبري (ت:310هـ)، 4. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت:311هـ)، 5. أصول النحو لابن السراج (ت:316هـ)، 6. إعراب القرآن للنحاس (ت:338هـ)، 7. الحجة لابن خالويه (ت:370هـ)، 8. الأغفال لأبي علي الفارسي (ت:377هـ)، 9. المحتسب لابن جني (ت:392هـ)، 10. تفسير البرهان في علوم القرآن لعلي بن سعيد الحوفي (ت:430هـ)، 11. التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس المهدوي (ت:440هـ)، 12. تفسير البسيط للواحدي (ت:468هـ)، 13. تفسير الكشاف للزمخشري (ت:538هـ)، 14. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت:546هـ)، 15. مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي (ت:548هـ)، 16. التفسير الكبير مفاتح الغيب لفخر الدين الرازي (ت:606هـ)، 17. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: 671هـ)، 18. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت:685هـ)، 19. مدارك التنزيل وحق التأويل للنسفي (ت:701هـ)، 20. الكفيل بمعاني التنزيل للإسكندري (ت:741هـ)، 21. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت:745هـ)، 22. الجواهر الحسان في القرآن للثعالبي (ت:875هـ)، 23. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (ت:982هـ)، 24. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (ت:1255هـ)، 25. الارتشاف لابن جنى (ت:392هـ).

ت. استند على الشواهد الشعرية الواردة في كتاب سيبويه (ت:180هـ)، وتجلى ذلك بصورة كبيرة في الاستدلال والاحتجاج والتوضيح، بل إنه يحيل إليها كل الشواهد التي يتعرض لها في كتابه مع شيء قليل من الإضافة والتعليق.

ث. ومن باب الوفاء لشيخ إبراهيم عبدالله رفيده، ولكي تكتمل المعلومة عن مصادره التي اعتمدها من ناحية إجمالية، لا بد أن ننوه هنا إلى كثرة روافده واتساعها، وقد "أربت عن ثلاثمائة مرجع، زادت المخطوطات منها عن الثلاثين، وكان بينها عدد من فهارس المكتبات الكبرى"[2].

المطلب الخامس : مكانة الشاهد الشعرية عند الشيخ رفيده

يشكل الشاهد الشعري رافدًا محوريًا عند أهل اللغة والنحو والبلاغة، ولا يخفى ما له من أهمية في كتب التفسير، فهو حجة في كل ما يُتطَرّق إليه من القضايا اللغوية والمسائل النحوية، وهو دليل نصيّ مأخوذ به في تأسيس المدونة العربية وتعليمها، قديمًا وحديثًا، يُستدعى للاستدلال على قاعدة ما، ولغرض الاحتجاج، ولتوضيح المعاني، والتأكيد على تقعيد لغوي.

ويكفينا في هذا السياق أن نستذكر ما أثر عن عمر بن الخطان – رضي الله عنه – من أنه قال :"من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات، يقدّمها الرجل أمام حاجته، فيستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم"[3].

وإذا كان الشاهد الشعري هو أفضل ما قدمته العرب، فإن الشيخ رفيده نفسه يشيد بمكانة الشواهد الشعرية التي أوردها إمام العربية سيبويه (ت:180هـ) في الكتاب وبما حظيت به، "من الثقة في مصادرها واعتماد العلماء لها وعنايتهم بنسبتها وشرحها، ثم اعتمادها عليها"[4].

وفي مقام متصل نجده يقارن بين شواهد الكتاب وشواهد المعاني للفراء (ت:207هـ) قائلًا : "مصادر الشواهد لدى سيبويه موثوقة بها، ومسلم الاستشهاد بها من جميع النحويين، ... وقد عني النحاة بها وبنسبتها إلى قائليها، وهم يرونها أصح الشواهد، ... وشواهد المعاني لم تحفظ بشيء من هذا، ولا ترقى إلى مستوى شواهد الكتاب كما تبين مما سلف ومما هو معلوم في تاريخ النحو والنحاة، ولكنّ كثيرًا منها واضح النسبة إلى قائليه، وكثيرًا منها- أيضًا- من مصادر متفق عليها"[5].

وهذا دليل قوي على أن الشيخ رفيدة اتخذ من شواهد الكتاب حجةً قاطعة على الثقة والاستشهاد بها، ومقياسًا معياريًا في العمل بالشاهد الشعري، فضلًا عما آل إليه الشاهد في كتابه من مكانة بارزة.

---

(1) النحو وكتب التفسير، للدكتور إبراهيم رفيده 9/16.
(2) المصدر السابق، 14/1.
(3) الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ص63.
(4) النحو وكتب التفسير، لأبن رفيده، 1293/2.
(5) المصدر السابق، 224/1.

ولا يكتفي الشيخ رفيده بهذا المسلك الذي أخذ نفسه به- وهو في معرض حديثه الحافل عن شواهد كتاب الفراء، بل إنه كذلك يدعو غيره من الباحثين إلى دراسة الشواهد الشعرية والاهتمام بها وبيان الحاجة إليها، حيث قال: "ولا شك أن شواهد المعاني في أشد الحاجة إلى دراسة متأنية واسعة متخصصة لإثراء العربية بهذا الفيض الغزير، ولدفع ما يثيره بعض النحويين من شبه حول الشواهد الكوفية، ولبيان الصحيح من هذا الشبه، ... وكان في إمكان نحاتنا القدامى نسبة الشواهد، وتأكيد صحتها؛ لقرب العهد وتوافر السند، وإمامتهم الفذة، ولو فعلوا لأغنونا عن كثير من الخلاف والنزاع، وعما انبنى على الشواهد المشبوهة من اضطراب في الفكر النحوي، ولكنهم آثروا عدم النسبة؛ لوضوح الأمر لديهم فيما يبدو"[1].

فهذه النصوص التي ذكرتها سابقًا في هذا المقال تفصح عن مكانة الشاهد الشعرية عند الشيخ رفيده في كتابة النحو وكتب التفسير، وهو يدرك قيمة الشاهد الموثوق به، ومدى أهميته في الدرس العربي، ويلفت أقلام الباحثين إلى العناية بالشواهد الشعرية عناية متأنية واسعة متخصصة؛ على حد تعبيره السابق.

المطلب السادس: منهج الشيخ رفيده في إيراد الشاهد الشعري.

وتبين للباحثة بعد استعراض المواد المجموعة، وتصنيف تلك البيانات وتحليل بيناتها، أن الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده استطاع أن يضع منهجية ماثلة لقارئ الشاهد الشعري في كتاب النحو وكتب التفسير، وفي ملمح بارز من خلال المسح لشواهد كتاب الدراسة نستطيع الإفصاح عنها في نقاط محددة، هي:

1. يذكر الشيخ رفيده البيت الشعري كما هو موجود في المصدر الذي نقله عنه، ثم يعلق عليه في الهامش، مشيرًا إلى الديوان الذي ورد فيه، وأحيانًا إلى مكانه من القصيدة، وفي بعض الأحيان إلى بحره الشعري، وللتمثيل على ذلك ذكره للبيت الذي أنشده أبوزيد :

بسم الذي في كل سورة سمه

ضبطه الشيخ رفيده ضبط حروف: "بكسر السين وبالضم أيضًا"، وعلّق عليه قائلًا: "هو آخر ثلاثة أبيات من مشطورة الرجز لرجل، قال أبو زيد عنه: زعموا أنه من كلب"[2].

2. يورد تمام البيت الشعري إذا ذكر صدره فقط أو عجزه، في مصدره الذي نقله عنه، فضلًا عن الإشارة إلى درجة الشاهد من حيث تداوله وكثرة استعماله، ولتمثيل على ذلك ذكره لقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .....

علق الشيخ رفيده بذكره لصاحب البيت، وهو سحيم بن وثيل الرياحي، وتمم بذكر بقيته، وهي قوله: متى أضع العمامة تعرفوني [3].

وقد يشير أحيانًا إلى كثرة استعمال الشاهد وتداوله، وللتمثيل على ذلك ذكر قول الشاعر:

عَلْفُتها تِبْنًا وماءً باردًا .....

وعلق الشيخ رفيده قائلًا: صدر بيت تمامه : حتى شتت همالة عيناها، وقد نسب إلى ذي الرمة، وهو متداول في كتب النحو، وهو موجود في شواهد العربية[4].

3. يشير الشيخ رفيده في بعض الأحيان إلى الأغراض التي جاءت من أجلها بعض الأبيات الشعرية، وللتمثيل على ذلك إيراده قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غوتْ ..... غَوَيتُ وإن ترشُدْ غَزيةُ أَرشُدِ

فقد قال: البيت لدريد بن الصمة، من قصيدة يرثي بها عبدالله أخاه، وقد قتلته بنو عبس[5].

4. يهتم الشيخ رفيده ويتتبع المصادر التي ورد فيها الشاهد الشعري، وأحيانًا يشير إلى عدد المرات التي ورد فيها، إضافة إلى رقم الشاهد، ومثال ذلك إبيراده قول النمر بن تولب:

سقتْها رواعدُ من صَيّفٍ ... وإن من خريفٍ فلن يَعْدَما

وقوله في التعليق عليه: البيت من شواهد سيبويه والكافية [6].

5. يذهب الشيخ رفيده في بعض الشواهد الشعرية إلى بيان نوعها في إشارات مخترعة، وللتمثيل على ذلك استشهاده بقول أبي الطيب:

فتًى كالسَّحابِ الجَوْنِ يُخْشَى ويُرْتَجَى ... يُرجَّى الحيا منه وتُخْشَى الصواعقُ

وقوله بعده: هو شاهد المعنى، كما هو في الكشاف، [7].

ومن قبيل الإشارة إلى نوع الشاهد أيضًا تعليقه على بيت المفضل:

---

[1] المصدر السابق، 225/1.
[2] ينظر: المصدر السابق، 476/1.
[3] ينظر : المصدر السابق،690/1.
[4] ينظر : المصدر السابق، 797/2
[5] ينظر: المصدر السابق، 1201/2.
[6] ينظر: المصدر السابق، 167/1.
[7] ينظر: المصدر السابق، 884/2-885.

مطوت بهم حتّى تِكَلَّ غُزَاتُهم ... وحتى الجيادُ ما يُقَدنْ بأَرْسانِ

وقوله: وهو شاهد نحويّ لنصب المضارع بحتى[1].

وكذلك إشارته إلى بيت مجهول القائل:

ولما رأونا باديًا رُكَباتُنا ... على مَوْطِنٍ لا نخلط الجِدَّ بالهَزْلِ

وقوله في التعليق عليه: هذا الأسلوب نوع من التوثيق، فإن البيت غير منسوب لقائل معين، والشاهد فيه فتح الكاف من ركَباتنا [2].

6. يبين في منهجيه الشاهد في البيت الشعري الذي جاء من أجله، وكثيرًا ما يتناول الشواهد الشعرية بالتحليل والنقد والتوجيه، مع الاهتمام بدرجتها من حيث صحة الرواية وعدمها، ومن حيث الشذوذ ونسبتها إلى أصحابها، وللتمثيل على ذلك إيراده لما أنشده بعض النحويين:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شَيْءٌ .... نغّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرَا

علق الشيخ رفيده على ذلك بقوله: البيت من شواهد سيبويه، استشهد به للإظهار في موضع الإضمار، وقال الأعلم : فيه قبح؛ لإعادة الظاهرة في جملة واحدة [3].

المطلب السابع : تصنيف الشاهد الشعري عن الشيخ رفيده

عُنِيَ الشيخُ إبراهيم عبدالله رفيده بالشاهد الشعري من منظور سنده وتعدد روايته، فنجد الشاهد في كتابه إما منسوباً إلى قائله، أو مجهول القائل، أو متعدد الرواية، ومن هنا يمكننا تصنيف شواهد الشعرية باعتبار سند رواية الشاهد، على النحو التالي:

1. شاهد شعري منسوب إلى قائله

يركز صاحب كتاب النحو وكتب التفسير على نسبة الشاهد الشعري لقائله، فيعزوا أغلب الشواهد إلى أصحابها، ومن ذلك تعليقه على قول الشاعر :

بني أسد هل تعلمون بلاءَنا ... إذا كان يومًا ذا كواكبَ أشنعا

قال في نسبته: البيت لعمرو بن شاس[4].

ومن هذا أيضًا نسبته لضابئ بن الحارث البرجمي البيت الذي يقول[5] :

فمَنْ يَكُ أمسى بالمدينة رحلُه ... فإنّي وقَيَّارًا بها لغريبُ

1. شاهد شعري مجهول القائل

بيد أن استقراء الشواهد الشعرية في كتاب النحو وكتب التفسير كشف لنا عن عناية الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده الفائقة بالشواهد الشعرية التي لم تعز إلى قائليها، ويلقي باللوم في إشارة ضمنية على من أغفل نسبة البيت إلى صاحبه، في ملمح نقدي لتعليل البغدادي في معرض حديثه عن شواهد الكتاب الخمسين مجهولة القائل، وذلك من خلال قوله الذي نعتذر عن الإطالة فيه:

"ويعلل البغدادي ترك نسبتها بقولة: "إنما امتنع سيبويه عن تسمية الشعراء؛ لأنه كره أن يذكر الشاعر، وبعض الشعر يروى لشاعرين، وبعضه منحول- بعد سيبويه-، نسبة الغالبية العظمى منها، أفلا يكون في إمكان صاحب الكتاب نفسه التخلص من هذا التعدد أو الجهل؟ إنه لتعليل متهافت، لا سيما إذا ما تذكرنا أن جمهور شواهد سيبويه لشعراء كبار معروفين، هذا وإذا الفراء قد اعتمد على من روى عنهم من الأعراب الأشياخ، فاكتفى بالسند دون ذكر القائل، فإن سيبويه قد فعل ذلك قبله: مثل أنشدنا الخليل ..."[6].

ومن هذا المقام قول الشاعر :

خَالِي لأنتَ ومنْ جريرٌ خالُه ..... يَنَلِ العَلاَءَ ويَكْرُمِ الأخوالا .

يلتفت الشيخ رفيده إلى هذا البيت مبينًا شاهده قائلًا: أي لَخالي أنت، ثم يقول : لم أقف على أسم قائله[7].

ولهذا الالتفات نظائر كثيرة وأشباه في كتابه، منها قول الشاعر :

حتى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ ... ورأَيْتُمُ أبناءَكم شَبُّوا

وقَلَبتُمُ ظَهْرَ المِجَنّ لَنَا ... إنَّ اللِّئيمَ العاجز الخَبُّ

---

[1] ينظر: المصدر السابق، 207/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، 315/1.

[3] ينظر: المصدر السابق، 374/1.

[4] ينظر: المصدر السابق،:768/2.

[5] ينظر: المصدر السابق، 214/1.

[6] المصدر السابق، 226/1.

[7] ينظر: المصدر السابق،848/2.

فقال الشيخ إبراهيم رفيده: لم يذكر أسمه فهو مجهول، ويُنظران في المقتضب، وآمالي الشجريّ، وتأويل القرآن لابن قتيبة، وقد جعلهما محققه من الرجز، ولا يصحّ، فهما من بحر الكامل[1].

تعدد رواية الشاهد الشعري :

من خلال عملية استقراء الشاهد الشعري في كتاب الشيخ إبراهيم عبدالله رفيده نجده في مواطن كثيرة ينبّه إلى تعدد رواية الشاهد واختلافها، وهذه الظاهرة المنهجية التي أتكأ عليها في كتابه هي سمة محمودة تحسب له، ومن باب التمثيل على ذلك في هذا السياق نذكر تعليقه على بيت الفرزدق :

..... لم يَدَعْ من المال إلا مسحتُ أو مُجَلَّفُ.

فقد قال: تخريج بيت الفرزدق في رواية رفع (مسحت)، بالحمل على المعنى، هو التخريج الراجح القوي، وروايته المشهورة هي:

وعضُّ زمانٍ يا بن مَرْوانَ لم يَدَعْ ... مِنَ المالِ إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ .

بنصب (مسحتا)، ورفع (مجلف) أو مجرَّف، وقد اختلف العلماء في تخريج هذه الرواية اختلافًا شديدًا، والمسحت: المذهب الذي لم يبق منه شيء، والمجلف الذي منه بقية[2].

ومن ذلك أيضًا تعقيبه على بيت عمر بن أبي ربيعة:

فواعديهِ سَرْحَتَيْ مالكٍ أوِ الرُّبَا بينهما أسْهَلا

وقوله: ينظر ديوانه، مع الاختلاف في رواية البيت عما هنا[3] .

---

[1] ينظر: المصدر السابق، 257/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، 716/1-717.

[3] ينظر: المصدر السابق، 312/1.

الخاتمة

بعد كل هذا العرض والاستقراء والتصنيف والتحليل العلمي، لما جاء في كتابه النحو وكتب التفسير، للشيخ الدكتور إبراهيم عبدالله رفيده، من الشواهد الشعرية نصل إلى ما يسره الله تعالى من استخلاص النتائج، التي نلخصها فيما يلي من النقاط:

أولًا: كشف لنا كتاب النحو وكتب التفسير عن المخزون الهائل من الشواهد الشعرية التي أوردها الشيخ رفيده، فقد استطاع أن ينهل من تراث أسلافه القدماء، وأن يوفق في عمله العلمي بين الأقوال التراثية والآراء المتفرقة، ويستطرد في الوصف والتحليل، ويصل إلى الموازنة والترجيح.

ثانيًا: لقد وعى الشيخ رفيده قيمة الشواهد التي أوردها في كتابه مع إشادته بأهميتها ومكانتها العلمية في الاحتجاج، ودعوة الباحثين إلى دراستها، وإيلائها المكانة المستحَقّة من الدراسة والبحث.

ثالثًا : لقد بلغ عدد الشواهد الشعرية في كتاب النحو وكتب التفسير بصورة كلية ثمانية عشر ومائتي شاهد، تكرر منها سبعة عشر شاهداً، وبلغ عدد الأبيات الواردة منها مرة واحدة واحداً وثمانين ومائة شاهد.

رابعًا : أهتم الشيخ رفيده بنسبة الشاهد الشعري إلى قائله اهتمامًا كبيرًا، والإشارة إلى الأبيات مجهولة القائل، إضافة إلى ذكره لتعدد رواية الشاهد.

خامسًا : أولى الشيخ رفيده في كتابه شواهد سيبويه عناية دقيقة، وبنى عليها مقياسه في التسليم بها، من حيث ثقتها ومصادرها، واعتماد العلماء عليها في مواطن كثيرة ومختلفة.

سادسًا : يلتفت الشيخ رفيده في بعض الأحيان إلى الحقول المعرفية التي تنتمي إليها الشواهد الشعرية، منها: الشاهد في علم النحو بصورة بارزة، والشاهد في علم المعاني، والشاهد في الاحتجاج الأصولي، والشاهد التوثيقي.

في ختام هذه الورقة العلمية، أتقدم بتوصية علمية مفادها رجاءٌ من الباحثين أن يستفيدوا من المؤلفات الليبية والرسائل العلمية الجامعية، وأن يعملوا فيها آلات الدراسة والعرض والتحليل والمقارنة والنقد والتمحيص، وذلك للحفاظ على هذا التراث العلمي الليبي، من أن ينطوي ذكره عند الباحثين الجدد في المحافل العلمية، ويسلّم بسهولة إلى أرفف المكتبات والمنصات الإلكترونية، دون التنبيه على ما بذل فيها من وقت وجهد كان له أثر كبير في بلوغها إلى ما استحقته من مكانتها وقيمتها العلمية، إضافة إلى أن تلك الدراسات قد احتوت على نتائج علمية دقيقة توصيات حكيمة تساهم- لو بنى عليها الباحثون المجدون- في إثراء المكتبة الليبية على منهج تراكمي يأخذ اللاحق فيه من السابق، ويتصل فيه المستقبل بحبل من الماضي وحبل من الحاضر، ولعل بصائرنا تكشف عن طاقاته وإمكاناته في خدمة اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم برواية حفص .

ثانيًا : الكتب

1. الاحتجاج بالشعر في اللغة، محمد حسن جبل، الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
2. التعريفات، لأبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1971م.
3. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس بن يزيد المبرد، تح : محمد أبو الفضـــل إبراهيم، مكتبة العصـــرية، بيروت، ط1، 1997م .
4. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تح : علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م.
5. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2003م، ج4.
6. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م.
7. النحو كتب التفسير، د. إبراهيم عبدالله رفيده، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، ط3، 1990م، ج1، ج2.
8. ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مصطفى عبدالرحيم محمد أبوعجيلة، دار رباح للطباعة والنشر، مصراته، ليبيا، د.ط، 2001م، ج2.